

من قداسة البابا المعظم الأنبا تواضروس الثاني الرسالة الباباوية لعيد الميلاد المجيد - ٢٠١٣

أهنتكم أيها الأبناء الأحباء بعيد الميلاد المجيد .. راجياً لكم بركات مولود المذود المقدس من الفرح والخير والسلام فى حياتكم وأعمالكم وعائلاتكم وكل عيد ميلاد وأنتم فى ملء سلام الروح وكامل صحة الجسد ..

الحدث الغني

يعتبر التجسد وميلاد ربنا يسوع المسيح من أغنى الأحداث فى تاريخ البشر .. وفيه نتقابل مع نوعيات عديدة ربما تمثل كل الخليقة .. فمثلاً :

- مع الأفراد : يوسف ، هيرودس ، مريم ، أليصابات ، سمعان .
- مع الجماعات : الرعاة اليهود ، المجوس الغرباء ، الأطفال .
- مع الحيوانات : فى المذود ، فى تقدمات الهيكل ..
- مع السمانيين : الملائكة ، بشارة الملك .
- مع المدن : الصغيرة " بيت لحم " الكبيرة " أورشليم " ، الدول " مصر "
- مع الألقاب : النجار ، الملك ، العذراء ، النبوة ، الشيخ ، عمانوئيل .

هو حدث غني جداً .. ولكننا سنختار ثلاثة عناصر فقط :-

أولاً : الاسم الجديد عمانوئيل .

ثانياً : الكيان الجديد التجسد .

ثالثاً : العمق الجديد المحبة ..

أولاً : الاسم الجديد : عمانوئيل ..

وترجمته " الله يكون معنا " باعتباره المستقبل وقد ورد فى نبوة إشعيا قبل أن يصير واقعاً بحوالى سبعة قرون " .. ولكن يعطيكم السيد نفسه آية . ها العذراء تحبل وتلد ابناً وتدعوا اسمه عمانوئيل " (إش ٧ : ١٤) وقد تكرر فى (إش ٨ : ٨) كما ورد مرة أخرى بمعناه فى (إش ٨ : ١٠) وتحقق على أرض الواقع (مت ١ : ٢٣) مع ميلاد مسيحنا القدوس .

وهذا هو ما عبر عنه ربنا يسوع المسيح في الصلاة الوداعية وهو على بعد خطوات من الصليب حين قال " .. أريد أن هؤلاء الذين أعطيتني يكونون معي حيث أكون أنا لينظروا مجدي الذي أعطيتني .. " (يو ١٧ : ٢٤) . معنى ذلك أن هذا اللقب لم يكتف بتحقيق أن يكون الله معنا فقط بل انتهى أن نكون نحن أيضا معه .. فالله صار معنا لهدف سامي أن نكون نحن أيضا معه .

وإذا عدنا الى الورا قليلا وقتما صارت البشارة إلى أمنا العذراء مريم وهي في ناصرة الجليل حيث يفتح الملاك جبرائيل بشارته بهذه الكلمات " .. سلام لك أيتها الممتلئة نعمة . الرب معاك ... " (لو ١ : ٢٨) .

فكانت هذه التحية بمثابة إقرار حقيقة قامة الإيمان التي تحيا فيها أمنا العذراء مريم حيث صارت مع الله من كل القلب فصار الله معها في كل القلب . ومن هنا استمدت نقاوتها وقامتها الفائقة التي استحقت معها أن تكون بالحقيقة فخر جنسنا .

ويمكننا أن نعتبر هذا الاسم الجديد هو افتتاحية العهد الجديد التي بها صار الله معنا ، ومتحداً فينا وبننا ولنا .. ويدوم هذا الوضع الجديد حيث نقرأ معا كلمات مسيحا في الإنجيل المقدس للقديس متى الرسول " .. ها أنا معكم كل الأيام إلى أنقضاء الدهر . آمين " (مت ٢٨ : ٢٠) دلالة على استمرار هذا الاسم الجديد - عمانوئيل - في الإنسانية ومثلاً في " الكنيسة " التي هي جسد المسيح بكل أسرارها وحياتها إلى انقضاء الدهر .

ثانيا : الكيان الجديد - التجسد ..

يقول معلمنا بولس الرسول " عظيم هو سر التقوى . الله ظهر في الجسد " (١ تي ٣ : ١٦) فتقوى الإنسان هي السر الذي به نفهم حقيقة هذا الكيان الجديد ، فالتجسد ليس حدث ماضي وقع في الزمن وانتهى .. ولكن الله الذي ظهر في الجسد البشري ليفتقد الإنسان المغترب بعد ذلك الزمن الطويل منذ السقطة الأولى ومعصية المخالفة التي سقط فيها رأسا البشرية آدم وحواء .. ها هو يأتي بالميلاد البتولي المعجزي ويدخل طبيعتنا بالسلطان الإلهي لأنه غير خاضع للطبيعة بل هو سيدها .

فالميلاد وظهور ابن الله مولوداً هو لتأكيد حقيقة إنسانية وبشرية المسيح ، وفي نفس الوقت كان ميلاداً بتولياً فريداً من عذراء لتأكيد حقيقة لاهوتية المسيح . وكما يقول القديس أنثاسيوس الرسول " الكلمة في كلّه قد أتحد بالإنسان في كلّه " .

وفي هذا الكيان الجديد صارت هناك إمكانية أن يأتي الله ويسكن قلب الإنسان فعلا وحقيقة وهذا هو امتياز وفخر المسيحية بل وانفرادها حيث يتلاقى الخالق والمخلوق في تواصل تم فيه تحقيق الوعد الإلهي القديم (تك ٣ : ١٥) ، في ملء الزمان بعد أن طال انتظار واشتياق الإنسان نحو ذلك حتى كانت العذراء فخر جنسنا هي الهدية التي قدمها البشر لله لتكون معمل الاتحاد الإلهي ونقطة الالتقاء بين السماء والأرض - بين الله والإنسان - بين العهد القديم والجديد ..

وها نحن نرى طائفة الرعاة في برانتهم وبساطتهم بل ونقاوتهم يسعون نحو الإله المتأنس وليداً صغيراً في مذود صغير يصير هو بؤرة اهتمام كل الخليقة .. السمايين بالتسيح ، والرعاة بالإعلان ، والمجوس بالهدايا ، والسماء بالنجم ، والأرض بالحيوانات .. لقد صار معنا أي حل بيننا ، وصار فينا متحداً بالإنسان المؤمن ، وصار لنا نعمة التبني فنكون أبناءه الأحباء وندعوه " أبانا " في كل حين .

ثالثاً : العمق الجديد : المحبة

الله محبة وبمحبتته أخرج الأرض من العدم إلى الوجود ووهب الإنسان صورته ومثاله ولكن الإنسان أختار الضعف وأوجد نفسه خارج الفردوس طريداً بلا خلاص .

ولكن الله لم يخلق لبيدين ويهدم .. بل ليخلص ويخلد (يو ٣ : ١٧) فكانت البداية هي تجسده لأنه " هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية " (يو ٣ : ١٦) .

فالله عندما خلقنا عرفنا أنه يحبنا ولكن عندما تجسد عرفنا أنه يحبنا جداً محبة لا تحد ولا توصف بل تتحدى أفهامنا وإدراكنا ومعارفنا ..

فالميلاد أعطانا بعداً روحياً أو وصفاً روحياً فائق العمق لم يختبره الإنسان من قبل .. لقد نلنا نعمة التبني وصرنا بالحقيقة أبناء الله " وأما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله أي المؤمنون باسمه " (يو ١ : ١٢) فقد حل الابن الكلمة في وسطنا وصار بكرأ بين أخوة كثيرين (رو ٨ : ٢٩) .

وهذا العمق الجديد نراه واضحا في كل الذين اجتمعوا حول المذود فمثلا في يوسف النجار الشيخ الوقور حامل استقامة العهد القديم وحارس سر التجسد كذلك مريم العذراء المختارة دائمة البتولية حاملة صورة العهد الجديد وخادمة سر التجسد . كذلك نراه في إصرار المجوس الغرباء الباحثين عن الحقيقة والذين قدموا أتعابهم واجتهادهم وأوقاتهم قبل أن يقدموا هداياهم الثمينة من الذهب والمر واللبان .

حتى الملائكة في تسبيحها تعطي .. المجد لله في الأعلى .. " لأنه تجسد وتعلن " .. السلام على الأرض .. " لأنه صلب " ثم .. تفرح كل الناس .. " لانه قام " .

هذا العمق الجديد بالميلاد هو بدء أفراح موكب الخلاص وانتهاء الخصومة بين الله والبشر ... ها قد صارت المصالحة ..

المسيح الهنا يبارك هذا العالم ويعطيه السلام الحقيقي مع خالص محبتي لجميعكم وكل عام وانتم بخير.

نواضروس